المجتمع والدولة والتربية والتعليم عند أخوان الصفاء وخلان الوفاء

أ.م.د. عبد الستار نصيف جاسم
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

إن الهدف من هذا البحث هو محاولة لدراسة المجتمع، والدولة والتربية والتعليم عند أخوان الصفاء وخلان الوفاء، من خلال رسائلهم الاثنان والخمسون، التي بثوها في المجتمع خلال القرن الرابع الهجري.

إن اختيارنا لمفاهيم (المجتمع والدولة والتربية والتعليم) عند أخوان الصفاء، انطلق من القناعة بوجود قاسم مشترك يربط بين هذه المفاهيم وهو (الإنسان)، فالإنسان هو نواة المجتمع والركيزة الأساسية التي ترتكز عليها جميع القوانين والأنظمة الاجتماعية في أي مجتمع، أما الدولة فهي الأداة التي تضبط وتنظم حياة الإنسان، وبإمكانيات الإنسان وقدراته تحقق الدولة برامجها وأهدافها وسياساتها، في حين يمثل الإنسان الهدف المركزي والأساسي لأية فلسفة تربوية وتعليمية في المجتمعات الإنسانية المختلفة.

وقد حاولنا في هذا البحث تتبع المشتركات بين أفكار أخوان الصفاء وبين بعض الفلاسفة المسلمين الذين سبقوهم أو جاءوا من بعدهم ممن اشتهروا بعنايتهم وأبحاثهم في مجال فلسفة المجتمع والدولة والتربية والتعليم وأن هدفنا في ذلك هو الوقوف على حالة التواصل والامتداد الفكري بين العلماء والفلاسفة المسلمين، وما حققوه من نتاج فكري فلسفي خاص بهم تكيف مع اتجاهات وظروف المجتمع الإسلامي الجديد، واخترنا من بين هؤلاء الفلاسفة، الفارابي (ت339هـ) في نظريته السياسية والاجتماعية، والغزالي (ت505هـ) في نظريته التربوية والتعليمية وابن خلدون (ت808هـ)، في فكره الاجتماعي والسياسي، كنماذج للبحث عن حالات التجانس والتشابه في الأفكار مع أخوان الصفاء في المجالات المذكورة.

نطاق البحث:

لقد تطلبت طبيعة البحث أن نقسمه إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة، مع ملحق واحد.

تناولنا في التمهيد نشأة أخوان الصفاء، وآراء بعض المؤرخين في أصولهم ورغم أن هذا الموضوع قد تناوله الكثير من الباحثين إلا أن المنهجية العلمية في كتابة بحث علمي يتطلب البحث في نشأتهم وقد أوجزنا الحديث تجنباً لتكرار ما كتبه من سبقنا من الباحثين الذين سنذكر بعضهم في محور تحليل المصادر في المقدمة.

تضمن المبحث الأول دراسة لأفكار أخوان الصفاء في مجال المجتمع والعوامل المأثرة في بنائه، ومكونات هذا المجتمع، من خلال استحضارنا للنصوص المعبرة عن هذا الموضوع الواردة في مواضع متعددة من الرسائل، ثم حاولنا تحديد مواطن الشبه والتقارب بين أفكار أخوان الصفاء وأفكار كل من الفارابي في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) وابن خلدون في مقدمته.

وخصصنا المبحث الثاني لدراسة نظرية أخوان الصفاء في المجال السياسي ونشأة الدولة وتطورها، وتتبع التشابه والتطابق في الأفكار والرؤى بينهم وبين ما ورد عند الفارابي وابن خلدون من أفكار في هذا المجال.

أما المبحث الثالث، فقد تضمن البحث في الجانب التربوي والتعليمي الذي نال اهتمام أكبر من الجوانب الأخرى في اعتقادنا، من خلال عنايتهم بشكل خاص في بيان مواصفات أركان العملية التربوية والتعليمية (المعلم، والمتعلم، المناهج الدراسية) والمؤثرات الاجتماعية في نشأة الإنسان، وقد تبين أن هناك امتداد وتشابه بين أفكارهم وأفكار الغزالي في هذا المجال.

أما الخاتمة: فتضمنت مجموعة من الاستنتاجات العلمية في أطار ما توفر من تصور عام عن موضوع البحث من خلال المادة العلمية التي تضمنتها محاور البحث من لكي لا تكون هذه الاستنتاجات بعيدة عن أهداف البحث ومضامينه.

تحليل المصادر:

اعتمد البحث بشكل أساسي على (رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء) في تقصي أفكارهم في الجوانب الاجتماعية والسياسية والتربوية والتعليمية، وقد عبروا عن أفكارهم بشكل واضح وصريح مبثوثة في مواضع عديدة من الرسائل.

وتبعت رسائل أخوان الصفاء في الأهمية بالنسبة للبحث، كتب (آراء أهل المدينة الفاضلة)، لأبي نصر محمد بن طرخان الفارابي(ت339هـ)، و(المنقذ من الظلال) لأبي حامد بن محمد بن احمد الغزالي (ت505هـ)، و(المقدمة) لعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ) فكانت أساس بحثنا في متابعة حالة التوافق والتجانس الفكري بين أخوان الصفاء وهؤلاء الفلاسفة المسلمين الذين خاضوا في المجالات الاجتماعية والسياسية والتربوية نفسها.

كما اعتمدنا على كتابي (الإمتاع والمؤانسة) و(المقابسات) لأبي حيان التوحيدي (ت نحو 400 هـ) في التعرف على أصول أخوان الصفاء وأبرز مؤسسي هذه الجماعة في البصرة وبغداد ومنطلقاتهم الفكرية والسياسية.

أما المراجع فهي كثيرة ومتنوعة لعل أهمها، كتاب (أخوان الصفاء) لعمر الدسوقي، وكتاب (تاريخ الفلسفة في الإسلام) لدي بور، و(موسوعة الفلسفة والفلاسفة)، لعبد المنعم الحنفي، و(فلسفة تصنيف الكتب كمدخل لفلسفة تصنيف العلم) لخالد الحديدي، و(أخوان الصفاء رواد التنوير في الفكر العربي) لإسماعيل محمود، و(دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي) لحسام الدين الآلوسي و(أخوان الصفاء، فلسفتهم وغايتهم) لفؤاد معصوم، و(كتاب المدينة الفاضلة للفارابي) لعلي عبد الواحد الوافي وكتاب (فلسفة أخوان الصفاء الاجتماعية والأخلاقية) لفؤاد البعلي و(المذاهب الكبرى في التاريخ) لويدجيري البان، و(فلسفة التاريخ) لجميل موسى، وكتاب (رسائل أخوان الصفاء) لجبور عبد النور وكتاب (فلاسفة العرب أخوان الصفاء) ليوحنا قيمر، وغيرها الكثير، وقد أغنت البحث بالمعلومات عن تاريخ نشأة جماعة أخوان الصفاء وأصولهم العقائدية والفلسفية، وحقيقة علاقاتهم بالفرق والمذاهب الإسلامية.

تمهيد:

أخوان الصفاء وخلان الوفاء ثلة من الفلاسفة الأجلاء، ظهرت في البصرة خلال القرن الرابع الهجري، ولها فرع في بغداد، كانت هذه المجموعة قد تألفت العثرة، وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة ويبدو ذلك جلياً في الاسم الذي أطلقوه على أنفسهم (أخوان الصفاء وخلان الوفاء، أهل العدل وأبناء الحمد)[1].

وبالرغم من أن أخوان الصفاء غير معروفين بشخوصهم وذلك كما كانوا عليه من التستر، كما أنهم كتموا أسمائهم عندما صنفوا رسائلهم وبثوها في الوراقين فأن ابو حيان التوحيدي [2]، يذكر مجموعة أهل الصفاء البصريين وهو يجيب على سؤال الوزير (ابن سعدان)[3]، حول احد عناصر أخوان الصفاء وهو زيد بن رفاعة وشهرته في فنون النظم والنثر مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة والذي أقام بالبصرة زماناً طويلاً، حتى صادف بها جماعة وصفهم ابو حيان بأنهم " جماعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة، وهم أبو سليمان محمد بن معشر البستي المقدسي، أبو الحسن علي بن هارون

(1) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، الامتاع والمؤانسة، تحقيق، غريد الشيخ محمد وإيمان الشيخ محمد، دار الكتاب العربي (بيروت 2007م)، ص135–136 ؛ القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، اخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المثنى (بغداد، بلا. ت)، ص83 ؛ إسماعيل، محمود، أخوان الصفاء ورواد التنوير في الفكر العربي (مصر 1996م)، ص21.

(2) الامتاع والمؤانسة، ص136.

(3) الوزير بن سعدان: أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان، استوزره، صمام الدولة البويهي، سنة 373هـ، ينظر: ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ، ط2، تحقيق خليل مأمون سيحا، دار صادر (بيروت 2007م)، ج7، ص152.

الزنجاني، أبو أحمد المهرجاني، والعوفي" [1]، ويشير ابو حيان بأن زيد بن رفاعة هذا صحب هذه المجموعة، ودخل في خدمتهم[2]، أما جماعة بغداد حسب ما ذكرهم أبو حيان التوحيدي أيضاً فهم " أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، أبو زكريا الصميري، أبو الفتح النوشجاني، أبو محمد العروضي، المقدسي، والقومسي" [3].

ويبدو واضحاً التناقض في روايتي أبو حيان التوحيدي بخصوص أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، الذي ذكره ابن النديم، وقال انه كتب مقالة في مراتب الإنسان [4]، ففي حين أن التوحيدي ذكره في عداد جماعة أخوان الصفاء البغداديين في كتابه المقابسات [5] عاد في كتابه الإمتاع والمؤانسة وهو يتحدث عن رسائل أخوان الصفاء فقال " وحملت عدة منها إلى شيخنا أبي سليمان المنطقي السجستاني، محمد بن بهرام، وعرضتها عليه ونظر فيها أياماً واختبرها طويلاً، ثم ردها عليَّ وقال: تعبوا وما أغْنوا، ونصبوا وما أجدوا، وحاموا وما وَرَدوا، وغَنوُا وما أطرَبوا، ونسجوا فهلهلوا، ومَشَطوا ففلفلوا (جعدوا)، ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع، ظنوا أنهم يمكنهم أن يدسوا الفلسفة... في الشريعة، وأن يضموا الشريعة للفلسفة" [6].

فكلام أبوسليمان المنطقي هذا لا يدل على أنه كان من ضمن جماعة أخوان الصفاء، كما أنه ليس هناك ما يدل على أن أبي حيان التوحيدي أشار إلى هذا الاضطراب في روايته أو استدركه على الأقل فيما أطعلنا عليه من كتبه.

لقد تبنى أخوان الصفاء مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله تعالى والمصير إلى الجنة، وذلك بقولهم: " الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية " [7].

والحقيقة أن هذا الموقف الأخواني في مزج الفلسفة الإغريقية والعقيدة الباطنية ببعض المبادئ الإسلامية دفع البعض إلى وصفهم ثمرة من ثمار (الباطنية) [8] التي استغلت التشيع والتصوف الفلسفي لنشر رسائلها بأسلوب غير صريح[9].

ومن أجل تثبيت اعتقادهم بأن الفلسفة هي السبيل لتطهير الشريعة من الجهالات والضلالات فأنهم زعموا أنه " متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال... وأنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله عز وجل وطلب

---

(1) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص135.

(2)الإمتاع والمؤانسة، ص136.

(3) أبو حيان التوحيدي، المقابسات، مطبعة الرشاد، (بغداد 1970م)، ص57 ؛ الدسوقي، عمر، أخوان الصفاء، دار النهضة للطبع والنشر، (القاهرة، بلا.ت)، ص56-57.

(4) أبو الفرج محمد بن يعقوب، الفهرست، دار الكتب العلمية، (بيروت 1971م)، ص425.

(5) التوحيدي، المقابسات، ص57.

(6) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص136-137.

(7) رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء، تحقيق، بطرس البستاني، دار صادر (بيروت 1957م)، مج1، ص6.

(8) الباطنية: من الأنقاب التي كانت تطلق على فرقة الإسماعيلية في العراق، والإسماعيلية هم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام، وأن الإمام بعد إسماعيل هو ابنه محمد، وهؤلاء يدعون المباركية، وقد انقسموا قسمين، قسم وقف على محمد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته، وقسم ساق الإمامة في المستورين، ثم الظاهرين من بعدهم وهم الباطنية، لمزيد من المعلومات ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ط2، تحقيق محمد بن فتح الله بدران، منشورات الشريف الرضي، ج1، 149 ؛ الشكعة، مصطفى، إسلام بلا مذاهب، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، (مصر. بلا ت)، ص57.

(9) أبو العلاء، جميل، الباطنية وموقف الإسلام منهم، دار المعارف (مصر. بلا ت)، ص57.

رضوانه ليخلصوا الناس من الآراء الفاسدة التي تضر النفوس والعقائد الخبيثة التي تضر أصحابها والأفعال المذمومة التي يشقى بها أهلها..."[1]، وقد دفعهم موقفهم الفلسفي هذا أن يعدوا جميع المذاهب مذهباً واحداً يوفق بين جوهر الإنسان ويشكل الصورة الكمالية للإنسان الذي تحدثوا عنه في رسائلهم، بقولهم: " الرجل الكامل يكون فارسي النسب، عربي الدين، عراقي الأدب، مسيحي المنهج، شامي النسك، يوناني العلم، هندي البصيرة، صوفي السيرة، ملكي الأخلاق " [2].

يستفاد من هذا النص أن أخوان الصفاء بتصورهم (الخيالي) هذا حاولوا رسم صورة الإنسان الكامل الذي تحدثوا عنه في رسائلهم، بطريقة توفيقية تجاوزوا فيها كل الفوارق الدينية والقومية والعقائدية.

أما بالنسبة لمراتبهم، وطبقاتهم فهي أربع طبقات الطبقة الأولى منهم شبان يتراوح عمرهم بين خمسة عشر وثلاثون، لما لهم من صفاء جوهر النفس، وجودة القبول، وسرعة التصور، وتنشأ نفوسهم على الفطرة، ونظراً لأنهم تلاميذ فواجب عليهم أن ينقادوا لأساتذتهم انقياداً تاماً ويسمونهم الأخوان الأبرار والرحماء، أما الطبقة الثانية فرجال بين الثلاثين والأربعين، وهم مرتبة الرؤساء ذوي السياسات، وتنفتح لهم أبواب الحكمة الدنيوية، ويتلقون معرفة الأشياء بطريقة الرمز ويعرفون بالحكمة والعقل، ويسمونهم الأخوان الأخيار والفضلاء، والطبقة الثالثة أفراد سنهم بين الأربعين والخمسين، وهم مرتبة الملوك ذوي السلطان ويعرفون الناموس الإلهي معرفة كاملة مطابقة لدرجتهم، وهذه هي طبقة الأنبياء، حتى اذا نيف الرجل على الخمسين ارتقى إلى الطبقة العليا، وصار يشهد حقائق الأشياء على ما هي عليه، كالملائكة المقربين، وفي هذا يكون فوق الطبيعة والشريعة والناموس" [3] ويبدو ان هذا التقسيم الأخواني لمراتبهم يبقى في حدود التخيلات والأمنيات، فليس هناك ما يشير إلى نجاحهم في تحقيق المثل الأعلى الذي يتفق وتقسيمهم هذا لجماعتهم " [4].

بث أخوان الصفاء أفكارهم وآرائهم في سلسلة من الرسائل سموها (رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء) وهي اثنتان وخمسون رسالة تكلموا فيها عن جميع العلوم والمعارف في زمانهم والعلوم السابقة على زمانهم، وهي مقسمة على أربعة أقسام، فمنها رياضية تعليمية ومنها جسمانية طبيعية، ومنها نفسية عقلية، ومنها ناموسية شرعية إلهية[5]، وهي بذلك تصنيف واضح للمعرفة الإنسانية وتعريف بكل قسم من أقسامها، وكل نوع من أنواعها، دونما بحث في أغوار العلم واستقصاء لخفاياه[6]، وقد أكد ذلك أبو حيان التوحيدي عندما سأله عنها الوزير أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان[7]، سعدان[7]، فقال عنها " قد رأيت جملة منها، وهي مبثوثة في كل فن نتفاً بلا إشباع ولا كفاية، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات، وقد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها..."[8].

---

(1) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص136.

(2) رسائل أخوان الصفاء، مج4، ص240.

(3) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص7-8 ؛ وانظر أيضاً: الحنفي، عبد المنعم، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ط2، مكتبة مدبولي (القاهرة 1999م)، ج1، ص115.

(4) ت. ج. دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط4، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة 1957م)، ص158.

(5) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص21 ؛ الحنفي، عبد المنعم، موسوعة الفلسفة، ج1، ص115 ؛ وللإطلاع على أقسام أقسام هذه الرسائل، ينظر: الملحق رقم(1).

(6) الحديدي، خالد، فلسفة علم تصنيف الكتب كمدخل لفلسفة تصنيف العلوم، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة 1969م)، 1969م)، ص67؛ الآلوسي، حسام الدين، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد 1992م)، ص217.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص152.

(8) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص136-137.

إن نص التوحيدي هذا يؤكد أن رسائل أخوان الصفاء كانت منشورة خلال القرن الرابع الهجري، ونتفق مع ما ذهب إليه محمود إسماعيل من ان نص التوحيدي هذا يكشف عن أنه لم يطلع على كل هذه الرسائل بالرغم من أنها كانت منشورة حتى تاريخ كتابة هذا النص [1].

ووصفها القفطي " بأنها مقالات مشوقات غير مستقاة ولا ظاهرة الأدلة والاحتجاج وكأنها للتنبيه والإيماء المقصود الذي يحصل عليه الطالب لنوع من أنواع الحكمة " [2].

على أن أخوان الصفاء أنفسهم لم ينكروا هذه الحقيقة في رسائلهم، بل أنهم أكدوا عليها بقولهم " واعلم يا أخي أيدك الله إنما نذكر في كل علم شبه المقدمة والمدخل ليكون تحريضاً لإخواننا على التميز فيه والشوق إليه... لأن بالشوق إلى الشيء يكون الحرص على الإطلاع عليه... " [3].

مع ذلك فأن دي بور عدَّ رسائل أخوان الصفاء أشبه ما تكون بدائرة معارف شاملة لعلوم ذلك العصر ومرتبة بحسب الإخوان وتقدمهم في المعرفة، مأخوذة من مختلف المذاهب، وتقوم على دعائم مستمدة من العلم الطبيعي، ولها من وراء هذا أغراض سياسية [4].

وبخصوص الغرض السياسي في رسائل أخوان الصفاء الذي أشار إليه دي بور، فهو واضح من أسلوب عملهم السري الذي أشارت إليه المصادر باعتمادهم "التستر وإخفاء الأسماء عندما صنفوا رسائلهم " [5] وأفكارهم السياسية والاجتماعية التي دعوا إلى تطبيقها عندما ظهرت رسائلهم، وتوقيت نشر رسائلهم خلال القرن الرابع الهجري الذي شهد ضعفاً في مركز الخلافة العباسية بسبب الهيمنة الأجنبية المتمثلة بالنفوذ التركي (227– 334هـ) وفترة النفوذ البويهي (334–447هـ)[6].

والواقع نحن لسنا بصدد التوسع في دراسة الخلفيات التاريخية لإخوان الصفاء، بقدر تعلق الأمر بالتركيز على موضوع بحثنا وهو دراسة عقيدتهم ورؤيتهم الاجتماعية والسياسية والتربوية من خلال رسائلهم، ومن المؤكد أنهم تأثروا بأفكار وآراء مختلفة المنابع والأصول، بدعوتهم مزج الفلسفة اليونانية بالشريعة الإسلامية وذلك بزعمهم " أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال"[7].

المبحث الأول

المجتمع في فكر أخوان الصفاء وخلان الوفاء

المجتمع عند أخوان الصفاء هو عبارة عن ظاهرة طبيعية لا تختلف عن أية ظاهرة أخرى تحدث على مسرح الطبيعة، بعد أن تتهيأ لها الظروف الموضوعية، فهم يرون أن جميع الكائنات بما فيها الإنسان حينما تظهر للوجود تكافح لأجل البقاء، مَحبة للحياة وكراهية للموت، باعتبار أن هذا هو أصل وناموس للناس جميعاً " وأعلم يا أخي، أيدك الله يروح

---

(1) إسماعيل محمود، أخوان الصفاء، رواد التنوير في الفكر العربي، ص43.

(2) أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص58.

(3) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص266.

(4) تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص159.

(5) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص136 ؛ القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص83؛ إسماعيل، محمود، أخوان الصفاء، رواد التنوير في الفكر العربي، ص21.

(6) لمزيد من المعلومات عن الأوضاع في الدولة العربية الإسلامية، ينظر: المعاضيدي، خاشع وآخرون، تاريخ الدويلات الدويلات العربية الإسلامية في المشرق والمغرب (بغداد 1979–1980).

(7) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص136.

منه، بأنك إن أنعمت بالنظر وتأملت، وجودت البحث عن مبادئ الكائنات، وعلة الموجودات، علمت وتيقنت أن هاتين الحالتين، أعني شهوة البقاء وكراهية الفناء، أصل وقانون لجميع شهوات النفوس المركوزة في جبلتها، وأن تلك الشهوات المركوزة في جبلتها أصول وقوانين لجميع أخلاقها وسجاياها، وتلك الأخلاق أصول وقوانين لجميع أفعالها وصنائعها ومعارفها ومتصرفاتها"[1].

وأن أخوان الصفاء كانوا يؤكدون على أن ما يدفع الناس إلى التقارب والاتصال لأجل تكوين المجتمعات هو الحاجات الاقتصادية والمحافظة على الحياة بالابتعاد عن الأخطار ودفع الشر، وحاجة الإنسان إلى التعاون والاعتراف بأن حياته تتوقف إلى حد بعيد على العيش داخل مجموعة بشرية، وهذا ما عبروا عنه بقولهم:"إن الإنسان الواحد لا يقدر أن يعيش وحده إلا عيشاً نكداً وأنه محتاج لإدراك طيب العيش إلى أحكام صنائع شتى، ولا يمكن الإنسان الواحد أن يبلغها كلها، لأن العمر قصير، والصنائع كثيرة، فمن أجل ذلك اجتمع في كل مدينة وقرية أناس كثيرون لمعاونة بعضهم بعضاً"[2].

ولذلك فأن أخوان الصفاء يشيرون في رسائلهم إلى أن الناس قسموا الصنائع إلى حرف ومهن مختلفة " فقد أوجبت الحكمة الإلهية والعناية الربانية بأن يشتغل جماعة منهم بأحكام الصنائع، وجماعة في التجارات، وجماعة بأحكام البنيان، وجماعة بتدبير السياسات، وجماعة بأحكام العلوم وتعليمها، وجماعة بالخدمة للجميع والسعي في حوائجهم، لأن مثلهم في ذلك كمثل أخوة من أب واحد متعاونين في أمر معيشتهم كل منهم في وجه منها، فأما ما اصطلحوا عليه من الكيل والوزن والثمن والأجرة، فأنه حكمة وسياسة ليكون حثاً لهم على الاجتهاد في أعمالهم وصنائعهم ومعاوناتهم، حتى يستحق كل إنسان من الأجرة بحسب اجتهاده في العمل ونشاطه في الصنائع"[3].

وقد عدَّ أخوان الصفاء بعض الصنائع أصلية واساس بالنسبة للصنائع الأخرى، وهي أشرفها، كالحراثة والحياكة والبناء لأنها الحرف الأولى التي يعتمدها الإنسان لضمان قوته والحصول على ملبسه والبيت الذي يأوي إليه، أما ما بقي من الحرف الأخرى فكلها متفرعة عن هذه الصنائع الثلاث، وبذلك يؤكد أخوان الصفاء على:

أولاً– دور العامل الاقتصادي وأهميته في بناء وإقامة المجتمع وبالتالي تكوين العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات.

ثانياً– أهمية تقسيم العمل كمحور لتكوين العلاقات الإنتاجية بين هذه الفئات والمراتب.

ثالثاً– اعتبار المجتمع وحدة مترابطة متكاملة ذات كيان كلي موحد، وأن مظاهر النشاط الإنتاجي فيها، متصلة الحلقات بعضها ببعض بصورة تخدم الواحدة منها الأخرى بقصد تلبية حاجات الناس ومتطلبات حياتهم.

وكان الفارابي قد سبق أخوان الصفاء في تبني فكرة حاجة الإنسان إلى الاجتماع والتعاون لأن الإنسان اجتماعي بطبعه ومضطر إلى هذا الاجتماع اضطراراً لسد حاجاته، ومن أجل ذلك نشأت الجماعات الإنسانية، وفي ذلك يقول الفارابي: "وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج، في قوامه، وفي أن يبلغ أفضل كمالاته، إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده، بل يحتاج إلى قوم يقوم كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه"[4]، ويربط الفارابي بين حاجة

---

(1) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص99–100؛ وانظر أيضاً: الشمالي، عبده، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها، ط5، دار صادر، (بيروت 1979م))، ص408.

(2) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص302–303 ؛ البعلي، فؤاد، فلسفة أخوان الصفاء الاجتماعية والأخلاقية، مطبعة المعارف، (بغداد 1958م)، ص69–70.

(3) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص302–303؛ البعلي، فؤاد، فلسفة أخوان الصفاء الاجتماعية والأخلاقية، ص69–70. 70.

(4) أبو نصر محمد بن طرخان، آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، قدم له وشرحه، علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، الهلال، (بيروت 2003م)، ص112.

الإنسان للتعاون وبين نيله الكمال " الذي لأجله جعلت الفطرة الطبيعية... ولهذا كثرت أشخاص الإنسان، فحصلوا في المعمورة من الأرض، فحدثت منها الاجتماعات الإنسانية"[1]والمجتمعات الإنسانية في نظر الفارابي تنقسم إلى قسمين، مجتمعات كاملة وهي ما يحقق فيها التعاون الاجتماعي بوجه كامل لتحقيق سعادة الأفراد، ومجتمعات غير كاملة وهي ما لا يتحقق فيها هذا التعاون الكامل ولا تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها"[2]، والمجتمعات الكاملة عند الفارابي ثلاث (عظمى، وهي اجتماعات الجماعة كلها في المعمورة، والوسطى وهي اجتماع أمة في جزء من المعمورة، والصغرى اجتماع أهل مدينة في جزء من مسكن أمة)[3].

أما المجتمعات غير الكاملة فتتكون من مراتب أيضاً (اجتماع أهل القرية واجتماع أهل المحلة، ثم اجتماع في سكه، ثم اجتماع في منزل)[4].

ويبدو أن الفارابي فصل في تكوين المجتمعات الإنسانية أكثر من أخوان الصفاء وصورة المجتمعات على وفق سلم متدرج مدمجة شعوبه بعضها في بعض وذلك على حد قوله " لأن المحلة والقرية هما جميعاً لأهل المدينة، إلا أن القرية للمدينة على أنها خادمة للمدينة، والمحلة للمدينة على أنها جزؤها، والسكة جزء المحلة، والمنزل جزء السكة، والمدينة جزء مسكن امة والأمة جزء جملة أهل المعمورة" [5].

أما دوافع التعاون بين هذه المجتمعات فأن الفارابي يشير إلى نفس العامل الذي ذكره أخوان الصفاء وهو الناحية المادية، أو الحاجات الاقتصادية وقد عبر عن ذلك بقوله: " في قوامه " والتي تتصل بالقوة الغازية، وأضاف إلى ذلك العامل المعنوي بقوله " أفضل كمالاته " وهي السعادة، وهذا التعبير الأخير تعبير فلسفي مأخوذ من مذهب أفلاطون وأرسطو، إذ أن الكمال المطلق عندهما هو السعادة وهي أن يُعبد للإنسان طريق القيام بالأمور التي تصدر عن فكر ورؤية[6].

مما تقدم يتضح أنه ليس هناك فرق كبير بين ما أسس له الفارابي من قاعدة في مجال حاجة الإنسان إلى التعاون والاجتماع وبين ما جاء به إخوان الصفاء إلا في أساليب التعبير وبعض المفردات التي يعود سبب اختلاف فلاسفة المسلمين فيها إلى تباين خلفياتهم الفكرية والاجتماعية واتجاه بعضهم إلى محاكاة أساليب الفلاسفة الأجانب، الذين طالما تأثروا بهم، ومنها أيضاً عمق الأفكار الفلسفية نفسها، وكثرة مصطلحاتها، مما يؤدي إلى عمق العبارة وتباينها عند هذا الفيلسوف أو ذاك.

كما أن الموقف الإخواني من أثر العامل الاقتصادي في بناء المجتمعات الإنسانية وتوحيدها، طالما استأثر بعناية ابن خلدون واهتماماته، فهو بعد ان يشير إلى مدنية الإنسان وحاجته إلى الاجتماع، يؤكد عامل الحاجة والاضطرار إلى التعاون مع بني جنسه للحصول على الغذاء الذي يحتاج إليه، ومضطر أيضاً إلى الاستعانة ببني جنسه لدفع تعدي الحيوانات عليه، وساق أبن خلدون مثلاً على ذلك بقوله:" إن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته، وقدرته على تحصيله، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، فلو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة فلا يحصل إلا بعلاج كثير من

(1)آراء أهل المدينة الفاضلة، ص112.

(2) وافي، علي عبد الواحد، المدينة الفاضلة للفارابي، دار عالم الكتب للطبع والنشر، (القاهرة 1973م)، ص26.

(3) الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص113.

(4)آراء أهل المدينة الفاضلة، ص113.

(5) الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص113 ؛ وانظر أيضاً: وافي، علي عبد الواحد، المدين الفاضلة للفارابي، ص26.

(6) وافي، علي عبد الواحد، المدينة الفاضلة للفارابي، ص33.

الطحن والعجن والطبخ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات ولا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخوري... ويحتاج في تحصيله حبًا إلى أعمال أخرى من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل، ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة... " [1]، وهكذا فأن ابن خلدون يربط ربطاً جدلياً بين التكافل الاجتماعي والتكامل الاقتصادي الذي بدروهما يحققان مجتمعاً مستقراً قادر على تحقيق متطلبات الحياة وبدون هذا التعاون والتكافل على حد قول ابن خلدون فانه: " يستحيل أن توفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد، فلا بد من اجتماع القدرة الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم، فيحصل بالتعاون قَدْرُ الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف..."[2].

وحتى في مجال الدفاع عن النفس، فأن ابن خلدون يؤكد على الحاجة إلى التعاون ذلك لأن " الواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحدة من الحيوانات المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة... وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا يحصل له أيضاً دفاع عن نفسه لفقدان السلاح... وإذا كان التعاون حَصَّل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه، فأن هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني..." [3].

ان التطابق بين افكار أخوان الصفاء في رسائلهم وأفكار ابن خلدون في مقدمته في أهمية التعاون واثر العامل الاقتصادي في هذا التعاون الإنساني لبناء المجتمعات الإنسانية، وفي غيرها من المواضيع التي سنتطرق لها تباعاً يجعلنا نقرر ان هذا التقارب في الرؤى والأفكار بين الأخوان وابن خلدون لم يأتي من فراغ أو مجرد توارد خواطر، فالراجح ان ابن خلدون قد اطلع على هذه الرسائل بعد أن وصلت إلى المغرب والأندلس من جملة ما وصل من مؤلفات المشرق إلى المغرب الإسلامي، ذلك لأن الحركة الفكرية في مصر وشمال افريقية والأندلس كانت معتمدة منذ القرون الأولى على العلم في بغداد، ولم ينشط فيها التأليف إلا متأخراً [4]، وأن أول انتشار للمؤلفات المشرقية في الأندلس والمغرب بدأ بوقت سبق عصر ابن خلدون بكثير، كما يؤكد ذلك ابن جلجل أحد علماء الأندلس في القرن الرابع الهجري بقوله "ثم ظهرت دولة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد (300– 350هـ) فتتابعت الخيرات في أيامه ودخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم..."[5].

وبالنسبة لرسائل أخوان الصفاء فأنها لم يمضي قرن على ظهورها في المشرق حتى دخلت الأندلس والمغرب، وذلك على يد أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن احمد بن علي الكرماني (ت458هـ)، من أهل قرطبة رحل من الأندلس إلى المشرق طلباً للعلم، فلما عاد إلى بلاده حمل معه رسائل أخوان الصفاء التي ما لبثت ان انتشرت هناك[6].

---

(1) عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ط9، دار الكتب العلمية (بيروت 2006م)، ص33.

(2) المقدمة، ص33.

(3) المقدمة، ص34.

(4) العلي، صالح احمد، العلوم عند العرب، دراسة في كتبها ومكانتها في الحركة الفكرية في الإسلام، ط1، مؤسسة الرسالة، (بيروت 1989م)، ص81.

(5) أبو داود، سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (القاهرة، 1955م)، ص97– 98.

(6) ينظر: صاعد الأندلسي، أبي القاسم بن احمد، طبقات الأمم، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، (القاهرة، 1998م)، 1998م)، ص92؛ ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أبي العباس، احمد بن القاسم الخزرجي، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تصحيح وتعليق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص446؛ المقري، احمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت، 1968م)، ج3، ص376.

يضيف اخوان الصفاء عاملاً آخر مأثراً في أخلاق البشر وتكوين المجتمعات وهو عامل البيئة وطبيعة البلدان الجغرافية ويذكرون "إن تُرب البلاد والمدن والقرى تختلف، وأهويتها تتغير من جهات عدة، فمنها كونها في ناحية الجنوب أو الشمال، أو الشرق، أو الغرب، أو على رؤوس الجبال، وفي بطون الأودية والأغوار، أو على سواحل البحار أو شطوط الأنهار، أو في البراري والقفار، أو في الارضين السهلة والتربة اللينة بين الأنهار أو الأشجار والزروع، والبساتين والزهر والنور... وهذه كلها تؤدي إلى اختلاف أمزجة الأخلاط، واختلاف أمزجة الاخلاط يؤدي إلى اختلاف أهلها وطبائعهم وصنائعهم وتدابيرهم وسياستهم لا يشبه بعضها بعضاً، بل تنفرد كل أمة منها بأشياء لا يشاركها فيها غيرها"[1].

كما ان اخوان الصفاء يقرون ان حرارة الجو هي التي تسبب الفروقات بين الأجناس البشرية وتمايز طباعها وأشكالها بقولهم " ان الذين يولدون في البلاد الحارة ويتربون هناك وينشأون على ذلك الهواء، فأن الغالب على باطن أمزجة أبدانهم البرودة، وهكذا الذين يولدون في البلدان الباردة ويتربون هناك وينشأون على ذلك الهواء يكون الغالب على باطن أمزجة أبدانهم الحرارة..."[2]. وتبعاً لذلك على رأيهم "ان مزاج أبدان أهل البلدان الجنوبية من الحبشة والزنج والنوبه وأهل السند وأهل الهند، فأنه لما كلن الغالب عل أهوية بلاده الحرارة بمرور الشمس على سمت تلك البلاد في السنة مرتين سخنت أهويتها، فحمي الجو، فاحترقت ظواهر أبدانهم واسودت جلودهم، وتجعدت شهورهم لذلك السبب وبردت بواطن أبدانهم وابيضت عظامهم وأسنانهم، واتسعت عيونهم ومناخرهم وأفواههم بذلك السبب" [3]، ويلاحظ عكس ذلك في سكان البلاد الشمالية الباردة، وعلة على ذلك " ان الشمس لما بعدت من سمت تلك البلاد وصارت لا تمر عليها لا شتاءاً، ولا صيفاً، غلب على أهويتها البرد، وابيضت لذلك جلودهم، وترطبت أبدانهم، واحمرت عظامهم وأسنانهم، وكثرت الشجاعة والفروسية فيهم، وسبطت شعورهم، وضاقت عيونهم، واستجنت الحرارة في بواطن أبدانهم لذلك السبب" [4].

وينتقل اخوان الصفاء بعد ذلك إلى الربط بين تغير أخلاق الناس وأحكام النجوم، معنى ذلك على احد قولهم " ان الذين يولدون بالبروج النارية في الأوقات التي يكون المستولي عليها الكواكب النارية مثل المريخ، فأن الغالب على أمزجة أبدانهم الحرارة وقوة الصفراء، والذين يولدون بالبروج المائية في الأوقات التي يكون المستولي عليها الكواكب المائية مثل الزهرة فأن الغالب على أمزجة أبدانهم تكون الرطوبة، والذين يولدون بالبروج الترابية التي يستولي عليها الكواكب الثابتة مثل زحل ن فأن الغالب على أمزجة أبدانهم اليبوسة والمرة والسواد، والذين يولدون بالبروج الهوائية التي يكون المستولي عليها المشتري، فأن الغالب على أمزجة أبدانهم الدم والاعتدال" [5].

ويصنف اخوان الصفاء الأخلاق إلى صنفين، الأخلاق المركوزة في الجبلة، والأخلاق المكتسبة بالعادة، والفرق بينهما بقولهم " ان الأخلاق المركوزة في الجبلة هي تهيؤ كب عضو من أعضاء الجسد إظهار فعل من الأفعال أو عمل من الأعمال أو صناعة من الصنائع... من غير فكر ولا روية، مثال ذلك أنه متى كان الإنسان مطبوعاً على الشجاعة فأنه يسهل عليه الاقدام على الأمور المخوفة من غير فكر ولا روية، ومن كان مطبوعاً على السخاء يسهل عليه بذل العطية من غير فكر ولا روية، ومن كان مطبوعاً على الاعتدال سهل عليه الحكومة في الخصومات، وأما من كان مطبوعاً

(1) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص303- 304.

(2) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص345.

(3) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص346؛ وينظر: أيضاً: البان.ج. ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ترجمة ذوقان قرقوط، ط2، دار القلم، (بيروت، 1979م)، ص198؛ ر.ج كولنجود، فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكير خليل، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1968م)، ص152؛ صبحي، احمد حمود، في فلسفة التاريخ، ط4، دار النهضة العربية، (بيروت، 1994م)، ص86.

(4) رسائل اخوان الصفاء، مج1، ص346.

(5) رسائل أخوان الصفاء، ص347.

على الضد من ذلك فهو يحتاج إلى فكر وروية واجتهاد شديد وكلفه، ولا يفعل الإنسان هذه الأمور إلا بعد أمر ونهي ووعد ووعيد، ومدح وذم، وترغيب وترهيب"[1]. وبعد هذا كله يقرر اخوان الصفاء " ان الإنسان الكلي هو المطبوع على قبول جميع الأخلاق... لا الإنسان الجزئي"[2].

نستنتج من هذه المعطيات الفكرية ان اخوان الصفاء ينسبون للعامل الجغرافي والبيئة والظواهر الطبيعية والعادات والتقاليد، أهمية في تطور المجتمعات الإنسانية، فهي في رأيهم تؤثر في طباع وأخلاق الشعوب والأجناس وفي التباين فيما بينهم وفي أعمال وصنائع الناس التي ينعكس تأثيرها على الأسس الاقتصادية للإنسان ومن ثم على مصيره التاريخي.

والواقع ان هذا العامل (اثر البيئة وطبيعة البلدان الجغرافية) في تكوين المجتمعات، يرجع في بداياته الأولى إلى عهود النشاط الفلسفي والفكري اليوناني، ذلك ان النصوص اليونانية تتحدث عن أن (هيبوكراتس) دون في القرن الخامس قبل الميلاد ما يفيد أن البيئة الجغرافية متمثلة في المناخ وطبيعة الارض لها دور في بلورة طبائع الإنسان وتكوينه الجسمي وصفاته كالشجاعة والعنف والاستكانة، مما يعني بالنتيجة تشكيل تاريخ الأمم على وفق نوعية الإنسان الذي تحكمت في صياغته البيئة الطبيعية، فهيبوكراتس يرى مثلاً، أن الآسيويين أقل نزوعاً للحرب ويستكينون للطيغيات أكثر من الأوربيين، وان النقص الملحوظ في روح سكان آسيا وشجاعتهم يعود بشكل رئيسي إلى التغير الموسمي في درجة حرارة تلك القارة[3].

وتبع هذا المفهوم، آراء ربطت طبيعة الإنسان وصفاته ونشاطه بالبيئة الجغرافية، منها آراء أرسطو التي تذهب إلى تأثر اليونان في صفاتهم وأخلاقهم بموقع بلادهم المتوسط ومناخها المعتدل، ومنها كذلك أفكار الجغرافي الروماني سترابو (54ق.م– 25م)، التي صنف فيها الأرض إلى مناطق حارة وباردة ومعتدلة وبين أثر ذلك في قدرة الإنسان على العمل والتقدم[4].

وبالعودة إلى ابن خلدون فأننا نجده ينطلق بفكرة تأثير العامل الجغرافي على الإنسان وعلى تكوين المجتمعات البشرية إلى آفاق أوسع وأكثر تطوراً مع محاولته المحافظة على جوهر القاعدة التي أرساها أخوان الصفاء في التأثير المباشر للعامل الجغرافي والمناخي على طبائع وأخلاق وسلوكيات ومستوى معيشة الإنسان ذلك انه قسم الأرض إلى ثلاثة أقاليم مناخية، حار وبارد ومعتدل بقوله: " إن المعمور من الأرض، إنما هو وسطه لإفراط الحر في الجنوب والبرد في الشمال"[5]، ثم يقرر ابن خلدون أن هناك ثلاثة أقاليم معتدلة هما الثالث والرابع والخامس، والإقليمين الثاني والسادس بعيدان من الاعتدال، أما الأول والسابع فهما أبعد بكثير عن الاعتدال" [6].

وعلى أساس هذا التقسيم المناخي لأقاليم الأرض السبعة تتحدد وفق نظرة ابن خلدون العلاقة الواضحة بين طبيعة المناخ والانجازات الحضارية للمجتمعات البشرية ومسيرتها التاريخية، لذلك على حد قول ابن خلدون " كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والأقوات والفواكه والحيوانات مخصوصة بالاعتدال وسكانها أعدل أجساماً وألواناً وأخلاقاً وأدياناً حتى النبوآت، فلم تقف على خبر بعثة في الأقاليم الجنوبية ولا الشمالية... " [7] معيشتهم " فنجدهم على غاية التوسط في

(1) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص347.

(2) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص347.

(3) النجار، جميل موسى، فلسفة التاريخ، مباحث نظرية، ط1، (المكتبة العصرية، بغداد 2007م)، ص174–175.

(4) الملائكة، احسان، أعلام الكتاب الإغريق والرومان، دار الشؤون الثقافية، (بغداد 2001م)، ص252.

(5) ابن خلدون، المقدمة، ص65؛ وأنظر أيضاً: النشار، مصطفى حسن، فلسفة التاريخ معناها ونشأتها وأهم مذاهبها، دار دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، (عمان 2012م)، ص152–153.

(6) ابن خلدون، المقدمة، ص65.

(7) ابن خلدون، المقدمة، ص65

مساكنهم وملابسهم وأقواتهم وصنائعهم ويتخذون البيوت المنجدة بالحجارة المنمقة بالصناعة... وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير..." [1].

إن هذا الرقي الحضاري والاقتصادي الذي يكون عليه أهل الإقليم المعتدل ليس لسكان الإقليميين الحار والبارد أي نصيب فيه، ويستطرد ابن خلدون في الحديث عن ابتعاد أهل هذين الإقليمين عن الاعتدال وتدني مستواهم الحضاري والاقتصادي " فبناؤهم بالطين والقصب وأخوانهم من الذرة والعشب وملابسهم من أوراق الشجر أو الجلود وأخلاقهم قريبة من خلق الحيوانات... ويبتعدون عن الإنسانية ولا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة إلا من قرب منهم من جوانب الاعتدال"[2].

إن هذا المنهج الذي يؤمن بأن مجموعة الظروف الطبيعية كالمناخ والمياه والتربة شروط ضرورية لحياة المجتمع وتؤثر على تكوينه التاريخي وتطوره الاجتماعي عرف في تاريخ الفكر الحديث بمذهب (الجبر الجغرافي)[3]، بعد أن ظهر عدد من المفكرين والفلاسفة الذين يرون أيضاً أن للعامل الجغرافي علاقة وثيقة بأخلاق الناس ونشاطاتهم وحياتهم السياسية والاجتماعية، ويعد شارل دي مونتسكيو (1689–1775م) [4]، من أبرز دعاة هذا التفسير، وقال أن الطبيعة، ويعني المناخ هي التي تحدد نوع الدولة، إذ أن المناخ الحار في رأيه يقود الإنسان إلى الضعف والخنوع، والمناخ المعتدل يجعلها معتدلة ويجعل أهلها أحراراً يتصفون بالقوة والشجاعة وحب الحرية [5] ويؤكد على أن اختلاف المناخ الذي يتسبب في اختلاف العادات والتقاليد والنظم الاقتصادية والأديان، بل ومفهوم الحرية [6].

وكان هنري توماس باكل (1821–1861م) من مؤدي فكرة تأثير العامل الجغرافي في التاريخ، وسعى إلى بيان القوانين التي تحكم تطور التاريخ، وهذه القوانين على حد قوله لا تعدو كونها، المناخ والغذاء والتربة، ويسميها القوانين المادية أو الفيزيائية[7].

فضلاً عما تقدم استطاع أخوان الصفاء إدراك حقيقة أن المجتمع يتكون من طبقات ومراتب وفئات مختلفة وتبعاً لذلك تختلف الحياة الاجتماعية فيما بين هذه الطبقات والفئات، وتظهر أمام أخوان الصفاء مشكلة وهي الأساس الذي يقوم عليه الانقسام الطبقي، ولا يلبثون بعد تفكير وتمحيص أن يحددوه بنوع الحرفة أو الصنعة التي يزاولها الأفراد المنتمون إلى كل فئة أو مرتبة من جهة وإلى الاختلاف بين الناس بعلاقاتهم التملكية من جهة أخرى، ذلك بقولهم " وأعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه، بأن الناس أصناف وطبقات في متصرفاتهم في أمور الدنيا لا يحصى عددها إلا الله جل ثناؤه... وذلك أن منهم أرباب الصنائع والحرف والأعمال، ومنهم أرباب التجارات والمعاملات والأموال ومنهم أرباب البنايات والعمارات والأملاك ومنهم الملوك والسلاطين والأجناد وأرباب السياسات، ومنهم المتصرفون والخدامون والمتعيشون يوماً بيوم ومنهم الزِّمنى أصحاب العاهات، والعُطل أهل البطالة، ومنهم أهل العلم والدين والمستخدمون في الناموس، وكل طائفة تنقسم إلى أصناف كثيرة، ولكل صنف منها أخلاق وطباع وسجايا ومآرب أكسبتهم إياها أعمالهم، وأوجبتها متصرفاتهم لا يشبه بعضها بعضاً ولا يحصى عددها إلا الله عز وجل " [8].

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص65.

(2) المصدر نفسه، ص66.

(3) جعفر، نوري، التاريخ مجاله وفلسفته، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد 2007م)، ص25–26.

(4) ويد جيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص198–199.

(5) النجار، جميل، موسى، فلسفة التاريخ، ص176.

(6) كولنجوود، فكرة التاريخ، ص152–153 ؛ الحنفي، محمود، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج2، ص1395–1396.

(7) الدسوقي، عاصم، البحث في التاريخ، قضايا المنهج والإشكالات، دار الجيل (بيروت 1991م)، ص124.

(8) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص320–321.

إن هذه المراتب في نظر أخوان الصفاء تكون أساس المجتمع المدني وأن تقسيم المجتمع بحسب الوظيفة الإنتاجية كما يبدو يتصل بسكان المدن، حيث أن فئكة الصناع والتجار والمتنورين لشغل مركز الصدارة في نظرتهم الاجتماعية، أما الريف فيبدو عدم اهتمام أخوان الصفاء به، ذلك لأنهم لم يذكروا الفلاحين في تصنيفهم لطبقات المجتمع والذين كانوا يؤلفون الأكثرية الساحقة في المجتمع العراقي آنذاك دون أن يقدموا تفسيراً أو سبباً لإهمالهم طبقة الفلاحين أو الريف في تصنيفهم الطبقي هذا.

مما تقدم يمكننا أن نتوصل بمنطقية وبطرق أقرب إلى الصواب أن الحياة الاجتماعية التي تحدث عنها أخوان الصفاء في رسائلهم تحددها البيئة الطبيعية والعوامل الجغرافية، مع إبراز العامل الاقتصادي بهذا الشأن، كما أن التشابه في الأفكار أو تأثر وتأثير أفكار أخوان الصفاء بأفكار من سبقهم ومن لحق بهم، الذي ظهر واضحاً من خلال استعراضنا لهذه الأفكار يؤكد أن المعرفة البشرية هي تراكم خبر وتجارب إنسانية بين أجيال من العلماء يكمل بعضهم جهود البعض الآخر.

المبحث الثاني

الدولة في فكر أخوان الصفاء وخلان الوفاء

لم يتوقف الأخوان في حدود دراسة توزيع المجتمع ووضع تفاسير وأطر للعلاقات الاجتماعية وعوامل نشوئها، وإنما ذهبوا إلى أبعد من ذلك، حين أكدوا على ضرورة وجود دولة أو سلطة تقيم العدل بين الناس وترفع الظلم والشر عنهم، انطلاقاً من مبدأ أن الناس لا يستقرون ولا يطمئنون في أمورهم المعاشية والاجتماعية إلا بوجود سلطة، أو حاكم يحكم فيما يختلفون فيه ويتنازعون عليه، ويمنع الظالم القوي من التعدي على الضعيف المظلوم ويأخذ الناس بلزوم سنة الناموس وتأدية موجبات فرائضه التي في إقامتها خططها صلاح الجميع، وقد تبنى أخوان الصفاء فكرة دولة يحكمها العلماء والحكماء والأخيار من الناس ووقفوا إلى جانب وحدة السلطتين الدينية والدنيوية، على أساس أن الدين والملك توءمان لا يفترقان ولا قوام لإحداهما إلا بأخيه" واعلم بأن الغرض من الملك هو حفظ الناموس على أهله... وأن الغرض من حفظ الناموس هو طلب صلاح الدين والدنيا جميعاً" [1].

كما أن الدولة في رأي أخوان الصفاء جهازاً خاصاً لقسر الناس وضبط أفعالهم وسلوكهم، وتأدية فرائضهم ذلك" أن أكثر أهل الشرائع النبوية والفلسفية لولا خوف السلطان، لتركوا الدخول تحت أحكام الناموس وحدوده وتأدية فرائضه، وإتباع سُننته، واجتناب محارمه، وإتباع أوامره، ونواهيه" [2] وعلى هذا فأن أخوان الصفاء يرون أن " الدولة تظهر عندما يظهر انقسام المجتمع إلى طبقات، بسبب الحاجة إليها لكبت النزاع بين فئات ومراتب المجتمع وحصر ذلك كله ضمن أطار الناموس"[3].

ثم أن أخوان الصفاء يقرون أن لكل دولة أعمارها ومددها لا تتخطاها واعتبروا الدولة كائناً يولد وينمو ويشب ويشيخ، وهي محدودة بزمنها، كما يبدو في قولهم " واعلم بأن كل دولة لها وقت منه تبتدئ، وغاية إليها ترتقي، وحد إليه تنتهي، فأن بلغت إلى أقصى غاياتها ومدى نهاياتها تسارع إليها الانحطاط والنقصان وبدا في أهلها الشؤم والخذلان، واستأنف في الآخرين من القوة والنشاط والظهور والانبساط وجعل كل يوم يقوى هذا ويزيد، ويضعف ذلك وينقص، إلى أن يضمحل الأول المقدم ويستمكن الآتي المتأخر " [4]، ويقدم أخوان الصفاء مثالاً على هذا الوضع الحتمي الذي يصيب كل

(1) عبد النور، جبور، أخوان الصفاء، ط3، دار المعارف (مصرن بلا.ت)، ص83.

(2) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص180-181.

(3) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص180-1ذ81.

(4) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص181 ؛ وانظر أيضاً: قيمر، يوحنا، فلاسفة العرب أخوان الصفاء، ط2، دار المشرق المشرق (بيروت 1986م)، ص85.

دولة وهو الحركة والانتقال من النهار إلى الليل وما يترتب على ذلك من زيادة ونقصان فيهما ذلك " إن الزمان نصفان، نصفه نهار، ونصفه ليل مُظلم،... كلما ذهب هذا رجع هذا، وتارة يزيد هذا، وينقص هذا، وكلما نقص من أحدهما، زاد في الآخر بذلك المقدار، حتى إذا تناهيا إلى غايتها في الزيادة والنقصان ابتدأ النقص في الذي تناهى في الزيادة، وابتدأت الزيادة في الذي تناهى في النقصان...فهكذا حكم الزمان في دولة أهل الخير ودولة أهل الشر تارة تكون الدولة والقوة وظهور الأفعال في العالم، لأهل الخير، وتارة تكون الدولة والقوة وظهور الأفعال في العالم لأهل الشر ".[1]

وهذا يعني أن وجود الدولة في رأي أخوان الصفاء لم يكن وجوداً أزلي، ولا هي من خلق قوة خارجية، وإنما وجدت في مرحلة معينة من مراحل تطور المجتمع اقتصادياً وانقسامه إلى طبقات وفئات ومراتب بحيث يصبح وجودها ضرورة يقتضيها منطق هذا التطور الاقتصادي والانقسام الاجتماعي.

وبالرغم ما لأخوان الصفاء من فكر فلسفي في نشوء الدولة وتطورها، ولكن يبدو ان موضوع الدولة عندهم يعد اضعف حلقة في آرائهم الاجتماعية التي حملت أفكاراً غريبة مليئة بالتشاؤم، كما أنهم لم يبلغوا معرفة الأسباب الدافعة لتكوينها ولا إلى إدراك حركتها التطورية " واعلم بأن الدولة والملك ينتقلان في كل دهر وزمان ودور وقران من أمة إلى أمة، ومن أهل بيت إلى أهل بيت، ومن بلد إلى بلد " [2]، وبذلك ظل تفكيرهم في أطار الغائية، والغائية هي القيام بإصلاحات في الحكم أو السلطة كما يستشف من قولهم" وأعلم يا أخي أن دولة أهل الخير يبدأ أولها من قوم علماء حكماء وخيار فضلاء يجتمعون على رأي واحد يتفقون على مذهب واحد ودين واحد، ويعقدون بينهم عهداً وميثاقاً أن لا يتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضاً، ويكونون كرجل واحد في جميع أمورهم، وكنفس واحدة في جميع تدبيرهم فيما يقصدون من نصرة الدين وطلب الآخرة " [3].

ويرى أخوان الصفاء أيضاً أن من مهام الدولة تشريع القوانين لكي تتمكن من تسيير أمورها، وقد شرحوا أسباب سن القوانين وأغراضها بقولهم" وأعلم يا أخي، أيدك الله وإيانا بروح منه، أن أحد الأسباب التي دعت الحكماء إلى وضع النواميس، واستعمال سُنَنِها، هو ما قد لاح لهم من موجبات أحكام النجوم من السعادات والمناحس، عند تحاول السنين من الغلاء أو الرخص، أو الجدب أو الخصب، أو القحط أو الطاعون والوباء، أو تسلط الأشرار والظالمين، وما شاكلها من تغيرات الزمان وحوادث الأيام، فلما تبين لهم ذلك طلبوا حيلة تنجيهم منها إن كانت سراً، وتوفر حظهم فيها ان كانت خيراً، فلم يجدوا حيلة أنجى ولا شيئاً أنفع من استعمال سنن النواميس الإلهية " [4].

ومن خلال تتبعنا لحالة التوافق والتجانس بين فكر أخوان الصفاء في مجال الدولة وكينونتها وبين نظرية الفارابي في الدولة المعبر عنها في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة)، فأننا نجد في هذا التوافق بين النظريتين الفارابية والأخوانية في موضوع شكل السلطة وواجبات ومواصفات رأس السلطة، فإذا كان أخوان الصفاء قد أكدوا على أهمية وجود حاكم يحكم بين الناس على رأس واجباته منع الظلم، وأخذ الناس بلزوم سنة الناموس وتأدية موجبات فرائضه، وأن يكون من يحكم هذه الدولة العلماء والحكماء والأخيار من الناس، وأن الغرض من الملك هو حفظ الناموس طلباً لصلاح الدين والدنيا [5]، فأن الفارابي الذي سبق أخوان الصفاء في تصوراته لرئيس مدينته الفاضلة، قد فصل في شروط وخصال هذا الرئيس وجعلها

(1) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص181.

(2) المصدر نفسه، مج1، ص181-182.

(3) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص86 ؛ البعلي، فؤاد، مدينة أخوان الصفاء الفاضلة، مجلة الاقلام، دار الجمهورية، بغداد، ج2، ص103.

(4) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص307؛ معصوم، فؤاد، أخوان الصفاء فلسفتهم وغايتهم، دار المدى (دمشق 1998م)، ص199.

(5) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص29.

نوعين، فطرية وهي " أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح، محباً للصدق وأهله، كبير النفس... محباً للعدل وأهله، قوي العزيمة... " [1]، ومنها صفات مكتسبة وهي "أن يكون حكيماً، عالماً حافظاً للشرائع والسنن، وأن يكون له جودة استنباط وان يكون فيما يستنبطه في ذلك محتذياً حذو الأئمة الأولين...وأن يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب... " [2].

وإمكانية إقامة الدولة عند أخوان الصفاء ظل في حدود الغائية لافتراضهم القيام بإصلاحات في الحكم أو السلطة يقوم بها أهل الخير من العلماء والحكماء المتفقون بينهم على رأي واحد، ويكونون كرجل واحد [3] بغية الوصول إلى تكوين دولتهم المنشودة، دولة أهل الخير، كذلك فأن المدينة الفاضلة التي أقام الفارابي قواعدها في مخيلته ووضع لرئيسها خصالاً وشروطاً فطرية ومكتسبة هي مدينة يرأسها إنسان لا تقل منزلته عن منزلة الأنبياء والملائكة ويتألف أفاردها من قديسين، ومدينة كهذه لا يتاح وجود مثلها في عالمنا الدنيوي [4]، كما أن الفارابي نفسه اعترف أنه من النادر أن تتوافر هذه الصفات والخصال جميعاً في شخص واحد بقوله " واجتماع هذه كلها في إنسان عسر... " [5]، مع ذلك فأن تأملات الفارابي الفلسفية تذهب به إلى الاعتقاد بإمكانية تحقق هذه المدينة، ولكن بعد أن يصل الإنسان إلى مستوى الامتزاج بالعقل الفعال... ويساعده للوصول إلى هذه المنزلة، ما يزوده الله به من استعداد قطري، وعكوفه على التأمل والتفكير، فتتهذب نفسه، وتخلص من أدران المادة والجسم، ويرقى إلى عالم العقول... فيكمل بذلك صفاؤه [6].

وتصل آراء أخوان الصفاء إلى حد التطابق مع آراء ابن خلدون في موضوع أعمار الدولة، فأخوان الصفاء يقررون في رسائلهم أن لكل دولة أعمارها ومددها لا تتخطاها واعتبروا الدولة كائناً يولد وينمو ويشب ويشيخ " واعلم بأن كل دولة لها وقت منه تبتدي وغاية إليها يرتقين وحد إليه تنتهي، فأن بلغت إلى أقصى غاياتها ومدى نهاياتها تسارع إليها الانحطاط والنقصان وبدا في أهلها الشؤم والخذلان..."[7]. ويأتي ابن خلدون ليقدم رؤية تفصيلية عن كيفية قيام الدولة وتوسعها وانقسامها حتى يأذن الله تعالى بانقراضها واعتبر عمر الدول محدد كالإنسان ذلك " إن العمر الطبيعي للأشخاص على زعم الأطباء والمنجمون مائة وعشرون سنة... وقد يزيد عن هذا وينقص منه... فتكون أعمار بعضهم مائة تامة وبعضهم خمسين، وثمانين أو سبعين ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرون إلا في الصور النادرة وعلى الأوضاع الغريبة كما وقع في شأن نوح عليه السلام " [8].

فالدولة إذن عند ابن خلدون كما هي عند أخوان الصفاء كائن حي يولد وينمو ثم يهرم ويموت، والأجيال الثلاثة التي تتعاقب على الدولة على قول ابن خلدون هي:[9]

الجيل الأول: ويسمى جيل البناء، وهم الذين لا يزالون على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد.

(1) الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص122-123.

(2) آراء أهل المدينة الفاضلة، ص124.

(3) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص86.

(4) وافي، علي عبد الواحد، المدينة الفاضلة للفارابي، ص30-31.

(5) الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص124.

(6) وافي، علي عبد الواحد، المدينة الفاضلة للفارابي، ص31.

(7) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص181.

(8) ابن خلدون، المقدمة، ص134؛ النجار، جميل موسى، فلسفة التاريخ، ص294-295.

(9) ابن خلدون، المقدمة، ص134-135.

الجيل الثاني: الذي تتحول فيه حالهم من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به، وهو الملك.

الجيل الثالث: فينسون فيه عهد البداوة والخشونة، ويفقدون حلاوة العز والعصبية، فيصيرون عيالاً على الدولة ولا يبقى لهم من القوة ما يمكنهم من المدافعة عن كيان الدولة، فتذهب الدولة بما حملت، وتنتزع شيئاً فشيئاً إلى الهرم والانحطاط.

المبحث الثالث

التربية والتعليم في فكر أخوان الصفاء وخلان الوفاء

أكد أخوان الصفاء على أهمية التربية والتعليم باعتبارهما عمليتين اجتماعيتين تتمان ضمن نطاق المجتمع، فقد أعطوا للبيئة الاجتماعية دوراً حاسماً في تكوين الطفل ونشأته، لأن العادات الجارية في البيئة الاجتماعية والمداومة عليها تقوي الأخلاق والسجايا عنده، فهم يؤمنون " بأن كثير من الصبيان إذا نشأوا مع الشجعان والفرسان وأصحاب السلاح، وتربوا معهم، تطبعوا بأخلاقهم، وصاروا مثلهم، وهكذا أيضاً كثير من الصبيان إذا نشأوا مع النساء والمخانيث والمعيوبين وتربوا معهم تطبعوا بأخلاقهم وصاروا مثلهم " [1].

ويبدو أن أخوان الصفاء لا يسلمون بفطرية التربية، لأن الطفل يتأثر بالوسط المحيط به ويدرك ما يجري حوله، لهذا السبب أعاروا الأسرة اهتماماً بالغاً لكونها أول مدرسة يحبو في أجوائها الطفل، وما يناله من التربية الصالحة فيها، يكون عاملاً قوياً في رسوخ المجتمع وتقويمه، " فأن سائر الأخلاق والسجايا التي يتطبع عليها الصبيان منذ الصغر، أما بأخلاق الآباء والأمهات، أو الأخوة والأخوات والأتراب والأصدقاء والمعلمين المخالطين لهم في تصاريف أحوالهم، وعلى هذا القياس حكم الآراء والمذاهب والديانات جميعاً" [2] كما أن أخوان الصفاء يرون " إن الإنسان مطبوع على استعمال القياس منذ الصبا، كما هو مجبول على استعمال الحواس، وذلك ان الطفل اذا ترعرع واستوى وأخذ يتأمل المحسوسات، ونظر إلى والديه وعرفهما حساً وميّز بينهما، وبين نفسه... وعلى هذا المثال يقيس الإنسان من الصبا كلما وجد حالاً أو سبباً لنفسه أو لأبويه أو لأخوته، ظن مثل ذلك وتوهم لسائر الصبيان ولآبائهم ولأخوتهم قياساً على نفسه وأبويه وأخويه"[3].

ويرى أخوان الصفاء أن الأخذ برغبة الطفل في العلوم والصنائع ضروري، ويزعمون أن للأطفال استعداداً أكثر لإتقان الصناع والتي يزاولها آباؤهم فيقولون " بأن صناعة الآباء والأجداد أنجح في الأولاد من صناعة الغرباء... ويكونون فيها احذق وأنجب"[4].

أما بشأن العلم والتعليم فأخوان الصفاء يعدون ذلك خاصاً بالبشر، والعلم في رأيهم لا تحدد مجالاته، وفي أكثر رسائلهم يمجدون العلم والمعرفة الإنسانية.

والعلم كما يعرفونه هو " صورة المعلوم في نفس العالم، وضده الجهل..."[5] أما التعليم والتعلم، فهما في رأي أخوان الصفاء " ليسا سوى إخراج ما في القوة، يعني الإمكان إلى الفعل، يعني الوجود، فإذا نسب ذلك إلى العالم سمي

(1) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص307.

(2) المصدر نفسه، مج1، ص233-234.

(3) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص291-292 ؛ معصوم، فؤاد، أخوان الصفاء، فلسفتهم وغايتهم، ص202.

(4) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص62 ؛ وينظر أيضاً: الأمين، حسنن دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ص96-97.
.97

(5) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص262.

تعليماً، وان نسب إلى المتعلم سمي تعلماً" [1]، ويمكن تفسير ذلك بأنه عملية انتقال المعرفة والمعلومات من المعلم إلى المتعلم بواسطة عملية التعلم.

ويحدد أخوان الصفاء تسعة أنواع وطرق للأسئلة والحوار العلمي الفلسفي والتي تعبر عن الماهية، والكيفية، والكمية والزمان والمكان، كما في قولهم " أولها هل هو، والثاني ما هو، الثالث كم هو، الرابع كيف هو، الخامس أي شيء هو، السادس أين هو، السابع متى هو، والثامن لم هو، والتاسع من هو.... " [2].

ويرى أخوان الصفاء أن هناك أسباب وراء اختلاف الناس في تقبلهم للعلوم وذلك لاختلاف طبائعهم وأخلاقهم وبيئتهم التي تحيط بهم، وحتى تركيب جهازهم العصبي، لذلك يجب أن يعامل كل إنسان بما يتفق وميوله ورغباته واستعداده ويجب أن يكون العلم في سبيل طلب الآخرة وخلافه يكون وبال على صاحبه" واعلم يا أخي بأن كل علم وأدب لا يؤدي صاحبه إلى طلب الآخرة ولا يعينه على الوصول إليها، فهو وبال على صاحبه وحجة عليه يوم القيامة " [3]. ويؤكد أخوان الصفاء على فضل طلب العلم بوصفه فرض على المؤمنين بل أنهم يذهبون إلى الاعتقاد بأن " ليس من فريضة من جميع مفروضات الشريعة وأحكام الناموس أوجب ولا أفضل ولا أجل ولا أشرف ولا أنفع للعبد ولا أقرب له إلى ربه بعد، الإقرار به، والتصديق لأنبيائه ورسله، من العلم وطلبه وتعليمه وبيان ذكر شرف العلم... ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: " تعلموا العلم فأن في تعلمه لله خشية وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمونه صدقة، وبذله لأهله قربة... "[4].

يستفاد من النص السابق مدى اهتمام أخوان الصفاء بالعلم بوصفه الطريق الأقرب إلى الكمال فهو " معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والمؤنس في الوحدة والوحشة، والصاحب في الغربة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء... يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة يهتدي بهم، وأئمة في الخير تقتفي آثارها، ويوثق بأعمالهم، وينتهي إلى آرائهم وترغب الملائكة في خلتهم..."[5].

لذلك فقد أكد أخوان الصفاء على أهمية العلوم الشرعية وجعلوها غايتهم الأساس من وراء دراستهم للعلوم وهي علم التنزيل، وعلم التأويل، وعلم الروايات والأخبار، وعلم الفقه والسنن والأحكام، وعلم التذكار والمواعظ وعلم تأويل المنامات وعبروا عن اهتمامهم بهذه العلوم بقولهم " واعلم يا أخي أنه ليس من علم ولا عمل ولا صناعة ولا تدبير ولا سياسة مما يتعاطاه البشر هو أعلى منزلة ولا أسنى درجة، ولا في الآخرة أكثر ثواباً، ولا بأفعال الملائكة أشد تشبهاً، ولا إلى الله أقرب قربة، ولرضاه ابلغ طلباً من وضع الشرائع الإلهية " [6].

ولكي يعطوا أخوان الصفاء العملية التربوية والتعليمية أبعادها الكاملة ويربطوا ربطاً جدلياً بين عناصرها، فأنهم ضمنوا رسائلهم رؤيتهم حول مكانة المعلم باعتباره ركناً أساسياً من أركان العملية التربوية والتعليمية ورفعوا منزلته حتى عدوه خليفة الله في أرضه بقولهم "... إن هذا الإنسان المطلق الذي قلنا هو خليقة الله في أرضه وهو مطبوع على قبول جميع الأخلاق البشرية وجميع العلوم الإنسانية والصنائع الحكمية، وهو موجود في كل وقت وزمان، ومع كل شخص من

(1) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص399.

(2) رسائل أخوان الصفاء مج1، ص339.

(3) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص339-400.

(4) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص351.

(5) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص351.

(6) رسائل أخوان الصفاء، مج4، ص128؛ وانظر أيضاً: وقيدي، محمد، المبادئ المعرفية والخلفيات الفلسفية للتصنيفات للتصنيفات العربية الإسلامية للعلوم، مجلة دراسات عربية، العدد (5) 1982م، ص85-86.

أشخاص البشر تظهر منه أفعاله لقبول علم من العلوم، أو صناعة من الصنائع أو خلق من الأخلاق أو عمل من الأعمال... " [1].

وفضل أخوان الصفاء المعلم على الأب الحقيقي للمتعلم، حيث عدوه الأب الروحي له، فإذا كان دور الأب كونه سبباً في وجود جسد هذا المتعلم في الدنيا ويعمل على إصلاح حالة في دار الحياة الدنيا، فأن المعلم يعطي المتعلم صورة روحانية من خلال تغذية نفسه بالعلوم والمعارف التي تهديه إلى طريق الآخرة [2].

وأكد أخوان الصفاء على أهمية التعاون بين المعلم والمتعلم، وان هذا التعاون لا يكون مجدياً ولا يأتي ثماره، ما لم يكن هدفه طلب الآخرة، ذلك " لأن أخوان الصدق هم الأعوان على أمور الدين والدنيا جميعاً... " [3] وذهب أخوان الصفاء بفلسفتهم التربوية إلى تحديد شروط ومواصفات لطرفي العلمية التربوية والتعليمية (المعلم والمتعلم)، يجب على كل منها الالتزام بها، منها ما يتعلق بالمتعلم فأنهم أكدوا على أهمية صفاء جوهر نفس المتعلم وتطهيرها من الأخلاق المذمومة، واحترام المتعلم للعلم، وعلى المتعلم أن لا يتكبر على المعلم " فيجب عليه أن يتعلم منه كتعلم صبيان الكتاب للعلم، وعلى المتعلم أن يستمع إليه استماع الخطيب يوم الجمعة أو إتباع المأموم للإمام... " [4].

ومن واجبات المتعلم هي ضرورة إطلاعه على العلوم المتنوعة " لأن العلوم مترابطة مع بعضها البعض ويجب على المتعلم أن لا يعادي علماً من العلوم..."[5]. أما الشروط التي يجب توفرها في المعلم، فقد طلب أخوان الصفاء من المعلم " أن لا يكون قصده من علمه طلب الرئاسة والمنازعة والتعصب والعداوة والبغضاء بين المتعلمين، لأن الغرض من العلوم هو التقرب من الله تعالى " [6]. وأن لا ينفر المتعلمين من بعض العلوم ويحسب بعضها لهم بناء على رغباته هو حيث " إن من المتعلمين من تكون محبته في لقاء العلماء والاستماع إلى كلامهم وطلب العلوم والآداب ومعرفة الأخبار والروايات والآثار ومن المتعلمين من تكون له رغبة في دراسة النحو والشعر والخطب والفصاحة والمنطق... وغيرها من العلوم " [7]، وطلبوا من المعلم أيضاً " أن يتبع المسايسة في نصح المتعلمين كي يتجنبوا رديء الأخلاق عن طريق النصيحة دون اللجوء إلى توبيخهم لغرض كسبهم... وان يوافق عمله علمه وان لا يخوض في المشكلات ويرخص الشبهات ويترك العمل بموجبات العلم " [8] ومن شروطهم أيضاً " أن لا يحسد المعلم أخاً ذا مال ولا يستحقره لجهله، ولا يفتخر عليه بعلمه ولا يطلب عرضاً منه فيما يعلمه وان لا يمن على المتعلم " [9] ومنها أنهم طلبوا من المعلم " أن يعرف أن من العلوم العلوم ما يصلح للخاصة ومنها ما يصلح للعامة ومنها ما يصلح للمتوسطين...وأن العلم الذي يصلح لهذه الطبقات الثلاث فهو علم الدين... " [10]

ومن خلال تتبعنا لمواطن الاتفاق بين آراء أخوان الصفاء وبعض الفلاسفة المسلمين الذين اشتركوا معهم في الاهتمام بالجانب التربوي والتعليمي ومنهم أبو حامد الغزالي (ت505هـ) الذي وان وجه نقده وطعن في أفكارهم ومذهبهم

(1) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص306.
(2) المصدر نفسه، مج4، ص50.
(3) رسائل أخوان الصفاء، مج4، ص44.
(4) رسائل أخوان الصفاء، مج4، ص167.
(5) رسائل أخوان الصفاء، مج4، ص261.
(6) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص349.
(7) رسائل أخوان الصفاء، مج3، ص340.
(8) رسائل أخوان الصفاء، مج3، ص340.
(9) رسائل أخوان الصفاء، مج4، ص52.
(10) رسائل أخوان الصفاء، مج4، ص511.

بقوله "فأن من نظر في كتبهم، فرأى ما مزجوه بكلام من الحكم النبوية والكلمات الصوفية ربما استحسنها وقبلها، وحسن اعتقاده فيها فيسارع إلى قبول باطلهم الممزوج به لحسن ظن حصل فيما رآه واستحسنه، وذلك نوع استدراج إلى الباطل... ويجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها من الغدر والخطر " [1]، إلا أننا نجد تشابهاً في كثير من الآراء معهم والتي تتعلق تتعلق بالتربية والتعليم، ففكرة اهتمام أخوان الصفاء بالعلوم الشرعية واعتبارهم إياها أعلى منزلة واسنى درجة، وأكثر العلوم ثواباً في الآخرة، وأقربها إلى الله ورضاه [2]، نجد ما يماثلها عند الغزالي بقوله " إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها، وذريعة إلى القرب من الله تعالى... " [3].

ومكانة المعلم الكبيرة عند اخوان الصفاء باعتباره خليفة الله في أرضه[4]، وعدهم المعلم أب روحي للمتعلم ومنحهم ومنحهم له أفضلية على الأب الحقيقي لدوره في إصلاح حال المتعلم [5]، وإعطائهم أهمية للتعاون بين المتعلم والمعلم على على أمور الدين والدنيا لبلوغ طريق الآخرة [6]، كل تلك الأفكار أكدها الغزالي في أكثر من موضع من كتابه (احياء علوم الدين) ومنها قوله " والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم، واشرف موجود على الأرض جنس الإنس، واشرف جزء من جواهر الإنسان قلبه، والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجهة عبادة الله تعالى ومن وجهة خلافة الله تعالى وهو من اجل خلافة الله، فأن الله قد فتح على قلب العالم العلم الذي أخص صفاته..." [7]. وجاء في قوله في دور المعلم كأب روحي للمتعلم وأفضليته على الأب الحقيقي مطابقاً تماماً لما ورد عند اخوان الصفاء، فمن بين وظائف المعلم ذكر الغزالي في الوظيفة الأولى "الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه، بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين، فأن الوالد سبب الوجود والحاضر والحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم..." [8].

ويذهب الغزالي إلى رأي أخوان الصفاء نفسه فيما يتعلق بضرورة التعاون بين المتعلمين والمعلم على أمور الدين والدنيا وأن يكون غاية هذا التعاون هو طلب الآخرة [9]، بقوله " وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها، فلذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون إلا كذلك ان كان مقصده الآخرة، ولا يكون إلا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا..."[10]، وفيما يتعلق بالشروط الواجب توافرها بالمعلم التي وضعها أخوان الصفاء في رسائلهم، فأن الغزالي شاطرهم القول في أغلب هذه الشروط، ففيما يتعلق بطلب أخوان الصفاء من المعلم، بأن لا يطلب عوضاً من المتعلم فيما يعلمه، ولا تستحقره لجهله [11]، ذهب الغزالي إلى القول" ان يقتدي المعلم بصاحب الشرع صلوات الله

---

(1) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد(ت505هـ)، المنقذ من الظلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق جميل صلبيا، وكامل عايد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ص114-115.

(2) رسائل أخوان الصفاء، مج 4، ص128.

(3) الغزالي، أحياء علوم الدين، دار ابن الهيثم، (القاهرة بلا.ت)، ص21.

(4) رسائل اخوان الصفاء، مج1، ص306.

(5) المصدر نفسه، مج4، ص50.

(6) المصدر نفسه، مج2، ص44.

(7) الغزالي، احياء علوم الدين، ص22-23.

(8) المصدر نفسه، ص69.

(9) رسائل أخوان الصفاء، مج4، ص44.

(10) الغزالي، احياء علوم الدنيا، ص69-70.

(11) رسائل أخوان الصفاء، مج3، ص533.

عليه وسلامه، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاءً ولا شكراً، بل يعلم لوجه الله تعالى..."[1]، وأن لا يكون قصده من علمه طلب الرئاسة والمنازعة والتعصب والعداوة والبغضاء بين المتعلمين، على راي أخوان الصفاء [2]، وفي الاتجاه نفسه يقول الغزالي " أن ينبه المعلم المتعلم على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرئاسة والمباهاة والمنافسة... " [3]. واتفق الغزالي مع أخوان الصفاء في شرط، أن يراعي المعلم رغبة المتعلمين، وان لا ينفرهم من بعض العلوم ويحببهم لبعضها وفقاً لرغباته الذاتية [4]. فيذكر الغزالي " أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في المتعلم العلوم التي وراءه، كمعلم اللغة إذ عادته تقبيخ علم الفقه، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير... ومعلم الكلام ينفر عن الفقه... فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب... وان يوسع على المتعلم طريق المتعلم... وينبغي أن يراعي التدرج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة"[5]، ووافق شرط الغزالي، شرط أخوان الصفاء في أن يوافق عمل المعلم علمه وان لا يخوض في المشكلات ويرفض الشبهات ويترك العمل بموجبات العالم [6]، بقوله " أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار،.. فاذا أخالف العمل العلم منع الرشد... " [7] ومن الشروط التي توافق فيها الغزالي ما يصلح للخاصة، ومنها ما يصلح للمتوسطين، وان العلم الذي يصلح لجميع هذه الطبقات هو علم الدين [8]، فطلب الغزالي من المعلم " اذا عرف شخصاً من العامة قد تقيد بالشرع معتمداً على العقائد المأثورة عن السلف من من غير تشبيه ومن غير تأويل... أن لا يشوش عليه اعتقاده ويذكر له تأويلات الظاهر لاسيما إذا علم أن عقله لا يحتمل ذلك، فهكذا عمل سيؤدي إلى وقوع المتعلم في التهلكة لأنه سيحاول الوصول إلى قيد الخواص فيرفع السد الذي بينه وبين المعاصي ويتغلب شيطاناً مريداً يهلك غيره"[9].

من خلال ما تقدم يمكن القول، أن مجرد التشابه بين أفكار أخوان الصفاء وأفكار الغزالي في موضوع التربية، لا يعد دليلاً على أن الغزالي قد نقل أفكاره حرفياً من رسائل أخوان الصفاء، فبالرغم من ان الغزالي كان متلهفاً لقراءة هذه الرسائل كما يؤكد ذلك الذهبي بقوله " وكان له عكوف على رسائل أخوان الصفاء، وهي إحدى وخمسون رسالة، ألفها من خاض في علم الشرع والنقل والحكمة، فمزج بين العلمين " [10]، إلا أن الغزالي وبعد الانتهاء من قراءة هذه الرسائل وجه لها نفذه اللاذع معتبراً اياها آفة وأوجب " الزجر عن مطالعتها لما فيها من الغدر والخطر..."[11].

---

(1) الغزالي، احياء علوم الدين، ص70.

(2) رسائل أخوان الصفاء، مج1، ص349.

(3) الغزالي، احياء علوم الدين، ص70.

(4) رسائل أخوان الصفاء، مج3، ص340.

(5) الغزالي، احياء علوم الدين، ص71.

(6) رسائل أخوان الصفاء، مج3، ص340.

(7) الغزالي، احياء علوم الدين، ص72.

(8) رسائل أخوان الصفاء، مج3، ص511.

(9) الغزالي، احياء علوم الدين، ص72.

(10) محمد بن أحمد بن عثمان (748هـ)، سير أعلام النبلاء، اعتنى به محمد بن عبادي بن عبد الحكيم، مكتبة الصفا، 2003، ج11، ص510.

(11) الغزالي، المنقذ من الظلال، ص114-115.

الخاتمة

اهتم البحث ببيان آراء (أخوان الصفاء وخلان الوفاء) في الجوانب الاجتماعية والسياسية والتربوية، وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج هي:

1- إن المجتمع في رأي أخوان الصفاء، ظاهرة طبيعية لا تختلف عن أية ظاهرة أخرى، وإذا ما تهيأت لها الظروف الموضوعية ظهرت على مسرح الطبيعة وخضعت للقوانين والنظم والنواميس.

2- أكد أخوان الصفاء على دور العامل الاقتصادي في بناء وإقامة المجتمعات الإنسانية، ومن ثم تكون العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، كما أكدوا على أهمية تقسيم العمل كمحور لتكوين العلاقات بين فئات المجتمع وعلى هذا الأساس فأنهم وضعوا تقسيماً لطبقات المجتمع وفقاً للوظيفة الإنتاجية أو الحرفية التي يزاولها الأفراد المنتمون إلى فئة أو طبقة اجتماعية معينة، وأن هذا الترتيب الطبقي في نظر أخوان الصفاء هو أساس المجتمع المدني، الذين أقروا بوجود الفوارق الطبقية فيه.

3- ان اهتمام أخوان الصفاء بسكان المدن، وتوجيه رسائلهم إلى فئات وطبقات المجتمع المدني، دون اهتمامهم أو إشارتهم إلى مجتمع الريف يرجع باعتقادنا إلى إدراكهم بأن المجتمع الريفي مجتمع متجانس من الناحية الطبقية ومن ناحية الوظيفة الإنتاجية، فهم يمارسون المهنة ذاتها وهي الفلاحة أو (الزراعة) بخلاف المجتمع المدني الذي تتعدد فيه الوظائف الإنتاجية، ومن ثم تتعدد طبقاته، فضلاً عن ذلك فان اهتمام أخوان الصفاء بسكان المدن دون أهل الريف يشكل نقطة خلاف بينهم وبين الحركة الإسماعيلية والحركة القرمطية، وذلك لأن هتين الحركتين في جوهرهما من الحركات الفلاحية وطالما عبرتا عن تطلعات ورغبات تلك الطبقة، أما أخوان الصفاء فقد عكسوا حاجات ومتطلبات أهل المدن، فضلاً عن أن أخوان الصفاء خالفوا الإسماعيلية والقرامطة في عقيدة الخروج على ولي الأمر، والاستنصار بالفتك والترويع، فهم كانوا من المؤمنين بالعمل في تثقيف العقول والنفوس بمذهب يجمع الفلسفة بالدين.

4- أكد أخوان الصفاء على أثر العامل الجغرافي في اختلاف الأجناس البشرية من أشكال وطباع وأخلاق، وبهذا فأن أخوان الصفاء، كانوا من المؤمنين بفكرة أو مذهب الجبر الجغرافي والذي يرجع بجذوره التاريخية إلى عهود النشاط الفلسفي والفكري اليوناني، كما مثلت أفكار ابن خلدون في أثر العامل الجغرافي على الإنسان وتكوين المجتمعات البشرية امتداداً طبيعياً لهذه الفكرة.

5- مثل تبني أخوان الصفاء لفكرة الدولة التي يحكمها العلماء والحكماء والأخيار، امتداداً لنظرية الفارابي في مدينته الفاضلة، كما ظهر أثر الفكر الأخواني في مجال الدولة على فكر ابن خلدون وبالذات في موضوع أعمار الدولة واعتبار الدولة كائناً حياً يولد وينمو ويشب ويشيخ.

6- اهتمام أخوان الصفاء بالجانب التربوي والتعليمي، كعمليتين اجتماعيتين، ويمكن القول أن الفكر التربوي عندهم جاء متقدماً على أفكارهم في الميادين الاجتماعية والسياسية بل أن هدف أخوان الصفاء الرئيس هو هدف تربوي من خلال دعوتهم الوصول بملكات الإنسان الكامنة إلى مرحلة النضج والكمال، وتمكنوا من صياغة رؤية متكاملة للتربية والتعليم وذلك من خلال عنايتهم بأركان هذه العملية (المعلم والمتعلم والمناهج التعليمية) وفرضهم شروط ومواصفات دقيقة على المعلم والمتعلم أن يلتزم بها من أجل الوصول بالتربية والتعليم إلى غايتها، كما أن أخوان الصفاء أدركوا أن للبيئة الاجتماعية أثرها في نشأة وتربية الطفل وبذلك فأنهم ينفون وبشكل قطعي فكرة (فطرية التربية).

7- اثبت البحث أن هناك تواصلاً فكرياً بين أخوان الصفاء وغيرهم من الفلاسفة والعلماء، سواء ذلك المتمثل في الجذور التاريخية الممتدة إلى عصور المشاط الفلسفي والفكري اليوناني مروراً بالفارابي، وذلك التأثير الذي مثل امتداداً لفكر أخوان الصفاء في المجال الاجتماعي والسياسي والتربوي والذي ظهر واضحاً عند الغزالي وابن خلدون، على أن هذا التشابه والتجانس في الأفكار، لا يمكن تفسيره على أنه نقل حرفي لهذه الأفكار بين هؤلاء الفلاسفة وإنما مرده، أن كل نظرية جديدة لا تنبثق من فراغ، لأن المعرفة البشرية هي تراكم خبر وتجارب إنسانية وكل فرد يضيف إليها شيئاً جديداً حتى تتكامل ومال المخترعات والنتائج العلمية الباهرة التي توصل إليها العلماء في وقتنا الحاضر إلا دليلاً على ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر

📖 **ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن عبد الكريم الشيباني (630هـ/1232م).**

1- الكامل في التاريخ، ط2، تحقيق خليل مأمون سيحا، دار صادر (بيروت 2007م).

📖 **ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي(ت 668هـ/ م)**

2- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، تصحيح وتعليق ن محمد باسل، دار الكتب العلمية (بيروت 1998م).

📖 **أخوان الصفاء وخلان الوفاء، (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).**

3- رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء، تحقيق، بطرس البستاني، دار صادر (بيروت 1957م)

📖 **ابن جلجل، أبو داودن، سليمان بن حسان الاندلسي(ت بعد سنة 384هـ/).**

4- طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (القاهرة، 1955م).

📖 **أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس(ت نحو 400 هـ/ م)**

5- الامتاع والمؤانسة، تحقيق، غريد الشيخ محمد وإيمان الشيخ محمد، دار الكتاب العربي (بيروت 2007م).

6- المقابسات، مطبعة الرشاد، (بغداد 1970م).

📖 **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م).**

7- مقدمة ابن خلدون، ط9، دار الكتب العلمية (بيروت 2006م).

📖 **الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/ 1347م).**

8- سير اعلام النبلاء، اعتنى به، محمد بن عبادي بن عبد الكريم، مكتبة الصفا، 2003م.

📖 **الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم(ت548هـ/).**

9- الملل والنحل، ط2، تحقيق محمد بن فتح الله بدران، منشورات الشريف الرضي، (بلا.ت).

📖 **صاعد الاندلسي، أبي القاسم بن احمد (ت462هـ/ م).**

10- طبقات الأمم، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، (القاهرة، 1998م).

📖 **الغزالي أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد (ت505هـ/ م).**

11- أحياء علوم الدين، دار ابن الهيثم، (القاهرة بلا.ت).

12- المنقذ من الظلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق جميل صلبيا، وكامل عايد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع(بلا.ت).

📖 **الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان (ت339هـ/ م).**

13- آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، قدم له وشرحه، علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، (بيروت 2003م)،

📖 **القفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت646هـ/ م).**

14- اخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المثنى (بغداد، بلا. ت).

📖 **المقري، احمد بن محمد التلمساني (ت 1041هت/ 1613م).**

15- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت، 1968م).

📖 **ابن النديم، أبو الفرج محمد بن يعقوب (ت 380هـ/ 1046م).**

16- الفهرست، دار الكتب العلمية، (بيروت1971م).

ثانياً- المراجع:

📖 **الآلوسي، حسام الدين.**

17- دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد 1992م).

18- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية.

📖 **إسماعيل، محمود.**

19- أخوان الصفاء رواد التنوير في الفكر العربي (مصر 1996م).

📖 **محزون، محمد.**

20- الفرق الباطنية (التاريخ والمناهج)، ط1، كلية الآداب والعلوم الانسانية(مكناس، 2010م).

📖 **البعلي، فؤاد.**

21- فلسفة اخوان الصفاء الاجتماعية والاخلاقية، مطبعة المعارف (بغداد 1958م).

📖 **أبو العلاء، جميل.**

22- الباطنية وموقف الإسلام منهم، دار المعارف (مصر. بلا ت).

📖 **البان.ج. ويدجيري.**

23- المذاهب الكبرى في التاريخ، ترجمة ذوقان قرقوط، ط2، دار القلم، (بيروت، 1979م).

📖 **ت. د. دي بور.**

24- تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط4، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة 1957م).

📖 **جعفر، نوري.**

25- التاريخ مجاله وفلسفته، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد 2007م).

📖 **الحديدي، خالد.**

26- فلسفة علم تصنيف الكتب كمدخل لفلسفة تصنيف العلوم، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة 1969م).

📖 **الحنفي، عبد المنعم.**

27- موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ط2، مكتبة مدبولي (القاهرة 1999م).

📖 **خليل، شوقي.**

28- أطلس، الفرق والمذاهب الإسلامية، أماكن نشوؤها وانتشارها ونبذة عن فكرها وتاريخها، دار الفكر (دمشق 2009م).

📖 **الدسوقي، عاصم.**

29- البحث في التاريخ، قضايا المنهج والاشكالات . ط1، دار الجيل (بيروت 1991م).

📖 **الدسوقي، عمر.**

30- أخوان الصفاء، دار النهضة للطبع والنشر، (القاهرة، بلا.ت).

📖 **ر.ج كولنجو.**

31- فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكير خليل، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1968م).

📖 **الشكعة، مصطفى.**

32- إسلام بى مذاهب، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي والاده، (مصر. بلا ت).

📖 **الشمالي، عبد.**

33- دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها، ط5، دار صادر، (بيروت 1979م).

📖 **صبحي، احمد حمود.**

34- في فلسفة التاريخ، ط4، دار النهضة العربية، (بيروت، 1994م).

📖 **عبد النور، جبور.**

35- أخوان الصفاء، ط3، دار المعارف (مصر بلا.ت).

📖 **العلي، صالح احمد.**

36- العلوم عند العرب، دراسة في كتبها ومكانتها في الحركة الفكرية في الاسلام، ط1، مؤسسة الرسالة، (بيروت 1989م).

📖 **فروخ، عمر.**

37- تاريخ العلم عند العرب، دار العلم للملايين، (بيروت 1977م).

📖 **قيمر، يوحنا.**

38- فلاسفة العرب أخوان الصفاء، ط2، دار المشرق (بيروت 1986م).

📖 **المعاضيدي، خاشع وآخرون.**

39- تاريخ الدويلات العربية الإسلامية في الشرق والمغرب(بغداد 1986م).

📖 **معصوم، فؤاد.**

40- أخوان الصفاء فلسفتهم وغايتهم، دار المدى (دمشق 1998م).

📖 **الملائكة، احسان.**

41- أعلام الكتاب الإغريق والرومان، دار الشؤون الثقافية، (بغداد 2001م).

📖 **النجار، جميل موسى.**

42- فلسفة التاريخ، مباحث نظرية، ط1، (المكتبة العصرية، بغداد 2007م).

📖 **النشار، مصطفى حسن.**

43- فلسفة التاريخ معناها ونشأتها وأهم مذاهبها، ط1، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، (عمان 2012م).

📖 **وافي، علي عبد الواحد.**

44- المدينة الفاضلة للفارابي، دار عالم الكتب للطبع والنشر، (القاهرة 1973م).

ثالثاً- المجلات:

📖 **البعلي، فؤاد.**

45- مدينة أخوان الصفاء الفاضلة، مجلة الأقلام، دار الجمهورية، بغداد، 1985.

📖 **وقيدي، محمد.**

المبادئ المعرفية والخلفيات الفلسفية للتصنيفات العربية الإسلامية للعلوم، مجلة دراسات عربية، العدد (5) 1982م.